اتجاهات حديثة
فى التربية

لجناب دكتور تشارلس وطسن

رئيس الجامعة الأميركية بالقاهرة

ترجمة الخطاب الذى ألقى فى الحفلة السنوية

للجامعة الأميركية بالقاهرة

فى مساء الجمعة ٢٩ من مايو سنة ١٩٣٦

اتجاهات حديثة
فى التربية

لجناب دكتور تشارلس وطسن
رئيس الجامعة الأميركية بالقاهرة

ترجمة الخطاب الذى ألقى فى الحفلة السنوية
للجامعة الأميركية بالقاهرة
فى مساء الجمعة ٢٩ من مايو سنة ١٩٣٦

المطبعة العصرية بمصر

اتجاهات حديثة
في التربية

سيداتي وسادتي

حدا بي إلى تخير هذا الموضوع والتحدث اليكم عن بعض الاتجاهات الحديثة في التربية أمران :

أولهما ، أردت أن نطبع في أذهاننا أمراً واقعاً وهو أن التربية اليوم سائرة في طريق النجاح ، فليس ثمة من ينكر أن النجاح في المخترعات المادية مضطرد مستمر حتى أننا نتوقع في كل عام جديد أن نسجل تحسناً واضحاً في عالم هذه المخترعات . مثال ذلك أننا إذا أقدمنا على شراء سيارة من طراز حديث طلبنا إلى بائعها أن يبين لنا ما امتاز به هذا النوع عن نظيره في العام السابق . بيد أننا نعترف أن وجوه الاصلاح في التربية ليست بهذا القدر من السرعة ، فلا نستطيع مثلا أن نعلن عن نموذج سنة ١٩٣٦ في التربية

وتبين ميزته عن شبهه فى سنة ١٩٣٥ . ذلك لأننا لا نؤثر سياسة عدم الاستقرار فنعمد الى تغيير المناهج كل عام .

ونعنى بقولنا « اتجاهات حديثة فى التربية » هذه الاتجاهات التى كانت تسير فى طريق النمو وتلقى نصيباً وافراً من العناية فى خلال ربع القرن الماضى . على أن هذا النمو فى عالم التربية وإن كان أبطأ سيراً مما نراه فى عالم المخترعات ، إلا أنه يُشْعِرَ بجانب عظيم من التقدم . وأكثر من ذلك أنه ليستولى علينا الدهش إذا لم نر التقدم رائد التربية . ذلك لأن علم النفس وهو أصغر العلوم سناً قد ألقى فى السنوات الأخيرة أشعة قوية على خفايا العقل الانسانى وبواطنه وكشف عن عقلية الأفراد . فى سنى الطفولة والمراهقة

والأمر الثانى الذى أوحى إلىّ بأن أتحدث اليكم عن هذه الاتجاهات الحديثة ، هو أن هذه الاتجاهات نفسها هى عنوان ما يؤديه هذا المعهد من الخدمات كما يتضح ذلك من الأقوال التى أفضى بها الى حضراتكم

أولا — من الاتجاهات الحديثة فى التربية أن تكون

وظيفتها المام الطالب بالعالم الذى يعيش فيه . وربما تكون هذه العبارة أوضح فى أذهانكم اذا علمنا أن هناك نوعاً آخر من التربية يرمى الى نقيض هذا المبدإ وأعنى به التربية النظرية التقليدية التى كنا نراها فى بلاد الصين قبل الغاء ذلك النظام التعليمى هناك سنة ١٩٠٦ . فقد كانت وظيفة ذلك النظام أن يستظهر الطالب آداباً كلاسيكية ترجع الى أربعة وعشرين قرناً خلت ، وأن يلم بحكم خلقية نطق بها العلماء فى غابر الأجيال، وأن يردد حقائق وتفاصيل تاريخية ترجع عهودها إلى أزمان لا صلة لها البتـة بالعصر الحاضر . وقد كان هذا فى نظر القائمين بشئون التعليم فى الصين عدة الطالب فى ميدان الحياة. مثال ذلك أن سأل أحدهم آخر (كما فعل كونفوشيوس مرة) عن خير مكان لعبور النهر ، فكان الجواب عن ذلك مثلاً قديماً من أمثلة الأدب لا رابطة له بالسؤال .

ولا شك فى أن الحكم الفلسفية لها منزلتها السامية ولكنها لا تصلح قط أن تقوم مقام الحقائق العملية التى لا بد منها اذا أردنا أن نعيش . وليس ذلك الزمن الذى شهدنا فيـه

الغرب متمسكا بهذه التقاليد بعيد . على أن ممالك أوروبا وأميركا لم تتحرر من عبء المناهج الثقيلة فى اللغات اللاتينية واليونانية والأنجلوسكسونية إلا منذ عهد قريب حيث أخذوا يجعلون لمواد الدراسة اتصالا مباشراً بالحياة

هذه الاتجاهات نفسها هى التى حدت بذلك العالم الألمعى صاحب الفضيلة الشيخ المراغى مدير الجامعة الازهرية أن يشرع فى تغيير مناهج ذلك المعهد ذى الأثر الخالد البعيد .ولقد صرح هذا العالم المستنير (عند ما أعلن رسمياً وجوه الاصلاح فى هذا المعهد)منتقداً بحق تلك الخطط التى كان من شأنها أن يقضى الطالب خمسة عشر عاماً فى دراسة النحو والصرف والتفسير والمعانى والبيان والبديع وأصول الفقه والمنطق ، فى حين أنه كان يهمل المواد التى يحتم على كل متعلم أن يلم بها فى هذا العصر كالجغرافيا والتاريخ ومبادىء العلوم الهندسية والحساب والطبيعة والكيمياء وما الى غير ذلك . ومن هذا نرى أن الاتجاه الحديث فى التربية ينبغى أن يمثل للطالب الحياة كما هى ، سواء أكان ذلك

فى الصين أم فى مصر ، أم فى أى بلد من بلدان الغرب

ونحن معشر الأميركان نتوسع فى هذا الرأى الى حد بعيد ، فاذا ما أدخلنا علوم النبات والحيوان وطبقات الأرض والفلك فانما نفعل ذلك لنضىء للطالب حياة النبات والحيوان اللذين يراهما، وتاريخ الأرض التى يسير عليها وتكوينها، وعالم النجوم التى تتألق أمامه. سل السواد الأعظم من التلاميذ فى مصر عن أسماء الطيور التى يراها تجده ملماً بعض الالمام باسماء الغراب والحمام والصقر والنعام ، ولكنه لا يعلم عن الطيور المصرية شيئاً سوى أنها طيور وكفى . فهل يعلم التلميذ المصرى أن هناك أكثر من ثلاثمائة نوع من الطيور التى تجتاز البلاد (كالسائحين) فى طريقها الى غير مصر من البلدان ؟ وهل يعلم أن هناك أكثر من مائة وخمسين نوعاً آخر من الطيور التى تقطن هذه البلاد كما يقطنها هو ؟ وكذلك قد يأخذه الروع والدهش اذا ما شاهد الأهرامات وهى أجداث قدماء الفراعنة ولكن هل يدرى أن فى تلال وادى النيل ما هو أروع منها ، تلك

التلال التى تحوى فى أعماقها فصائل من الأسماك والزحافات التى ترجع فى قدمها الى العصر الجيولوجى المسمى (اليوسين) ذلك الذى مضى عليه خمسة وعشرون مليونا من السنين والذى يعد فى جانبه عصر خوفو عصراً حديثاً؛لأنه لم يزد سنه عن خمسة آلاف سنة ؟ إننا نسلب التلميذ حقاً مكتسباً إذا لم نفتح له أبواب هذه المعارف التى كشف لنا العلم عنها النقاب

وهنا نتساءل وما قيمة هذه المعلومات ؟ والجواب أنها تثير فى الشاب رغبات من شأنها أن تطهر حياته الخلقية. فلقد دلت دراسات علم الإجرام على أن عقل الشاب اذا لم يتوجه توجهاً سليما نحو الاعجاب بالطبيعة ومشاهد الحياة،فانه ينحدر بطبيعته الى المسائل الجنسية،ويسف الى الميسر؛ويتجه إلى ما يثير العاطفة الهوجاء، ويولع بالمشاحنات والخصومات والحزازات. ذلك أن النفس نزاعة إلى إشباع مآربها وأهوائها، ما لم تستخدم وسائل النشاط الجثمانى والنفسى استخداماً مفيداً، يملأ فراغها ويشبع شبابها الفضفاض. واذن فالتربية السليمة يجب ألا يقصر مجهودها على تنمية عقل التلميذ

وتعوده حب الاطلاع والبحث فحسب ، ولكنها فوق ذلك ينبغى أن تنتشل الطالب من وهدة السقوط والإسفاف

ثانياً — ومن الاتجاهات الحديثة فى التربية : تأدية مطالب الحياة الآلية الحاضرة . حقاً أننا نعيش فى عصر الآلات . نستيقظ على رنين الساعة الدقاقة ، ونغتسل بماء تدفعه الآلات الى الدور الخامس أو العاشر فى المنزل الذى نسكنه ، ونتناول طعام الإفطار الذى أعد على موقد يوقد بغاز الاستصباح ، وهذا الغاز لم يصل الينا الا بعد أن مر بادوار آلية وعمليات كثيرة التعقد . ثم إننا ننزل من طبقات منازلنا العالية فى آلات كهربائية يسمونها المصاعد ، ثم نخرج الى الشارع فتقلنا سيارة أو عربة أومنوبيس أو مركبة ترام تقطع بها الطريق الى مكاتبنا . ومتى جلسنا الى مكاتبنا لا نستعمل المحبرة والقلم كما كنا نفعل من قبل ، ولكننا نكتب على آلة تدعى الآلة الكاتبة . ثم نتبادل الأعمال بوساطة التليفون وننقل الأشارات إلى ما وراء البحار بواسطة التلغراف أو اللاسلكى الذى يعد من ارقى

الآلات وأدقها . وفى إيجاز ينبغى أن نعترف أن كل ما نستعمله من أدوات ، من صابون ، ومنشفة ، ولباس ، وحذاء ، وورق ، وطوابع بريد ، وزبد ، وسكر ، دواليك ، لم يكن الا ثمرة الآلات ، وقلما نجد من الادوات المعيشية ما هو خارج عن نطاق الآلات الا قليلا ، كالبيض ، واللحم ، والخضر ، ولكن من يستطيع أن يتنبأ بما يضمره المستقبل ؟

وفى الحق أننا ننظر بارتياح الى الخدمات الجليلة التى تؤديها لنا هذه المخترعات النافعة التى تعمل على راحتنا وهناءتنا ، غير أننى أريد أن أذكر حضراتكم بأن عصر الآلات مشوب بالمخاطر والمآسى ، التى تفتك بالجيل أو السلالات التى نعيش فيها ولها . وبعض هذه الأخطار جثمانى ، كما يتعرض الانسان للخطر كلما عبر طريقاً ، وساءه الحظ ، فأوقعه أمام سائق مستهتر . وبعضها خلق كما يحدث عند تسليم هذه المخترعات لمن لا يعرف للمسئولية معنى أو من لا يقيم للضمير وزناً . وقد طالعنا فى خلال الشهور القليلة الماضية أخبار تلك الحرب المريعة ، التى حلق فيها

الجنود فى الجو وألقوا من مرتفعات شاهقة قنابل الغازات السامة ، على رجال ونساء وأطفال وشيوخ أبرياء مجردين من السلاح ، فأعمت أبصارهم ، وأكلت أبدانهم ، وأحرقت أجسامهم ، وساقتهم الى المنية مئات والوفاً .

ومن نتائج عصر الآلات أنه فى خلال الحرب العظمى بلغ عدد الجنود الذين ماتوا عشرة ملايين ، عدا ثلاثة ملايين أخر يظن أنهم قتلوا ، وعدا عشرين مليوناً جرحوا ، وتسعة ملايين تيتموا ، وخمسة ملايين من النساء ترملن . ويتبين من هذا وذاك أننا فى حاجة إلى تربية خاصة نستعين بها على مواجهة هذا العصر الآلى

واذا افترض أننا وضعنا الحرب فى عداد الأعمال الجنونية التى يقوم بها بنو البشر . واذا أهملنا الأخطار التى تنجم عن إدخال الآلات فى الحروب واشباهها من المآسى ، فأن هناك أخطاراً اقتصادية تنجم عن إدخال هذه الآلات فى مرافق الحياة . والمثال المشهور الذى يتخذ دليلا على صدق ما نقول هو مسئلة الصباغة فى بلاد الهند . فقد

كانت الهند فى سنة ١٨٩٧ تزرع مليون فدان من نبات النيلة ، وكانت صادراتها السنوية تبلغ قيمتها أربعة ملايين من الجنيهات ، وبعد سبع سنوات هبط هذا الرقم هبوطاً واضحاً إلى ستين ألف جنيه . فما السبب فى ذلك ؟ الجواب أن كيميائياً ألمانياً يبلغ من العمر اربعاً وثمانين سنة اخترع عملية آلية كيمائية استطاع بها أن يصنع النيلة من القطران . وكانت النتيجة أن سعر الرطل من النيلة بعد أن كان ثمانين غرشاً مصرياً ، هبط فى سنة ١٩١٤ الى ثلاثة غروش فقط .

ولا شك أن الاغتباط بالمخترعات الآلية أمر لا بأس به . غير أنه يجدر بنا القول بأن من وظيفة التربية أن توجه الجيل الحديث توجيهاً يمكنه من العيش فى عصر الآلات ، فاذا لم تقم التربية بهذه المهمة على الوجه الأكمل ، أصبحت الحياة فى عصر الآلات عبئاً لا يطاق ، تحت سيطرة ظالم لا يرحم ، وسيد لا يشفق ، وتكون النتيجة وبالا على المدنية ، هدامة للأخلاق

ثالثاً — من الاتجاهات الحديثة فى التربية أنها تعنى

عناية خاصة بكسب العيش . ولما كان حضرة صاحب السعادة حافظ عفيفي باشا قد اختار هذه النقطة عنوانا لخطابه، فانني سأقصر بحثي على ملاحظة واحدة ، وهي أن القوس سلمت باريها ، فأنا على ثقة من أن سعة اطلاعه وبعد نظره، كفيلان أن يجعلاه أقدر مني على أداء هذه المهمة اليكم

لقد وجد بالاحصاء أن أسباب البطالة في السنوات العادية يعزى الى أمرين ، وهما الإحجام عن العمل والعجز عن مواجهة الظروف ، فباب العمل مفتوح أمام كل رجل مقدام . أيّ متجر يحجم عن توظيف رجل يستطيع أن يذلل الصعاب التي تعترض هذا المتجر ؟ إن معظم العاطلين هم اولئك الذين يسعون لايجاد وظيفة كتابية لا تحتاج الى تفكير . وهل من يلوم على هؤلاء اذا كانت المدارس التي تلقوا فيها علومهم لم تغرس في نفوسهم مبادىء الاقدام والابتكار بل اكتفت بتلقينهم بعض المواد المستظهرة من الكتب المقررة ؟ والسبب الثاني للبطالة كما قلنا هو العجز عن مواجهة الظروف ، مثال ذلك أن الشاب الذي أعد

نفسه ليكون معلماً، يرفض أن يكون مساعداً فى مستشفى. والذى أعد نفسه أن يكون مهندساً، يأبى أن يكون موظفاً فى مصلحة السكة الحديدية ، والذى أعد نفسه للتوظف فى أحد المصارف المالية ، يأبى أن يدير أملاك والده . ألا تدل هذه كلها على نقص فى تربية الشاب ؟ ألم تكن نظرة هؤلاء الشبان للحياة قصيرة محدودة ؟ هل تمكنت تلك التربية من إكثار الرغبات والميول فيهم ؟ وهل استطاعت أن تجعل من عقلياتهم دوائر مرنة، حتى يتسنى لهم أن يلجوا ميادين الحياة بأسلحة قوية ، ويختاروا منها ما يمكنهم إحرازه بغير أن يقيدوا أنفسهم بعمل خاص محدود ؟ :

رابعاً — ومن الاتجاهات الحديثة فى التربية ، أن تعليم العامة أمر لا مفر منه من الناحية الديموقراطية. وأهم ما أريد أن أدلى به ههنا من الآراء فى هذه النقطة ، يتلخص فى فقرة أقطفها من خطبة لرئيس سابق من رؤساء جمهورية ولايات أميركا المتحدة :

لقد قال واضعو أساس الديموقراطية الاميركية

ما يأتى : « إن أكبر عقبة فى طريق الحرية هو الجهل ولا تحتاج هذه العبارة الى كثير من التفكير . فالحكم الذاتى وتمثيل طبقات الأمة وحق التصويت فى الانتخاب، والتوظف وحرية الأمة فى المحافظة على كيانها ، وادارة شئونها السياسية والاجتماعية — كل هذا يتطلب بطبيعة الحال رأياً عاماً مهذباً مثقفاً توصلا لهذه الغايات ، وذلك لأن حكومة الشعب دعامتها القوية تعليم الشعب » .

والنقطة الوحيدة التى يجب أن يحتاط لها فى أقوال الرئيس كولدج السالفة الذكر هى أن التربية التى تتمثل فيها هذه الأغراض يجب أن تكون تربية صحيحة . ومعنى هذا أنها لا تكون مقصورة على الإلمام بطائفة من المعلومات بل ينبغى فوق ذلك أن تكون كفيلة بالحكم على الأشياء حكماً صادقاً . مثال ذلك أنى قد لا أعرف شيئاً عن بناء المنازل ولكن إذا كنت صائباً فى الحكم فأنى أستطيع أن أعرف كيف اختار للبناء مهندساً معارياً صالحاً .

قد أكون جاهلا بعلم الطب غير أنى اذا كنت على

شيء من التربية والفطنة استطعت أن أنتخب الطبيب النطاسي الحاذق . وفي الحكومة الديموقراطية قد يكون الفرد في الأمة لا يعرف عن أساليب الحكم ولكنه إذا كان على شيء من التربية فانه يكون عادة على شيء من الفطنة التي تعينه على انتخاب من يمثل الأمة تمثيلا صحيحاً .

ولقد كان مؤسسو الجمهورية الاميركية يعتقدون أن كل ديموقراطية بغير تعليم عام مآلها الحكم المطلق (الدكتاتورية) . وقال أمرسن في هذا المعنى : « ان جهل الشعب يُفضي الى طغيان السلطة » وأنصع دليل على أن أميركا شديدة الايمان بصدق هذا المبدأ أنها تنفق على التربية سنوياً مبلغاً يكاد لا يصدقه السامع ، فقيمته بالنقود المصرية ٤٦٠ مليوناً من الجنيهات .

واذا كان ثم من رسالة تبعث بها أميركا إلى مصر فان هذه الرسالة تكاد تنحصر في النقطتين الآتيتين :

أولا — « رعى الله اولئك الذين فطنوا إلى تعليم الشعب

تعليما صحيحاً وبارك الله أولئك الذين وضعوا خططه التى قاربت الغاية التى وضعت من أجلها »

وثانياً — « قوى الله عزائم الذين يسعون الى تقريب اليوم الذى لا يبقى فيه رجل أو امرأة أو طفل فى وادى النيل، محروماً من التربية التى هى حق مكتسب من حقوقه »

خامساً — ومن بين الاتجاهات الحديثة تقويم الخلق، وله منزلة المعارف العامة وفى الدرجة السامية من غايات التعليم . والآن وقد اصطفى الله الى جواره صاحب الجلالة ملك مصر العظيم فؤاد الأول، أرانى فى حل أن أذكر تينك النصيحتين الغاليتين، اللتين تعطف فأسداهما إلى الدكتور مكلانهن وإيّاى ، عند ما مثلنا بين يديه الكريمتين منذ سبعة عشر عاماً لبيان الخطة التى يسير عليها هذا المعهد. وأولى هاتين النصيحتين هى : « كلما أقدمتم على عمل فسيروا فيه الى النهاية » ثم أردف ذلك فذكر مساوىء التربية التى تعنى بالقشور دون اللباب . وثانيتهما : « إذا عنيتم بتربية العقل فاياكم أن تهملوا تربية الخلق » ثم بلغ جلالته من الحماسة

ما يجعلنى أتردّد فى تصويره ، خصوصاً عندما استنكر جلالته أعمال اولئك الذين يتحدثون عن المثل الخلقيـة العليا ، ولا يعملون فى حياتهم اليومية سوى ما يناقضهـا . فاذا وجهنا أشد عناية الى التربية الخلقية كغاية سامية لها من الأهمية ما لاقتباس المعارف ، فانما نحن نؤدى الوديعة المقدسة التى استودعنا اياها جلالة الملك الراحل الكريم ، الذى شاء أن يتعطف على هذا المعهد الذى يؤدى نصيبه فى الثقافة لمصر وشعبها الكريم

وليس هناك من ينكر أهمية العناية بالتربية الخلقية ، وسأقتبس لهذه المناسبة عبارة من حكم هام أصدرته محكمة الاستئناف العليا لولاية متساتشوتس وهو : « أن القوة العقلية والكفايات العامية بغير استقامة الخلق ، قد تكون أشد خطراً على المجتمع من الجهل ، والذكاء مع التربية العالية، التى تتغاضى عن الفضائل الأساسية خطر يهدد كيان الأمة » وحتى نتحقق من قوة هذا الحكم ليس علينا الا أن نتصور عالماً تربى أفراده تربيـة عالية وخلت نفوسهم

من الفضائل السامية . ماذا يكون حال عالم كهذا ؟ الجواب لا يحتاج الى بيان . فهنا أطباء يخدعون مرضاهم بتشخيص أمراض لا وجود لها ليمدوا أجل العلاج ، ويتناولوا عنه أتعاباً باهظة بغير حق . وهنا حكماء أسنان يثقبون ثقوباً فى أسنان مرضاهم حتى يطول زمن العلاج . وهنا متعهدون يبنون بيوتاً على أسس واهية ، ويستعملون مواد فاسدة لكل موضع خفى . وهنا رجال المصارف المالية والأعمال الذين يتصرفون فى الأمانات المودعة تصرفاً يعرضها لخطر الضياع ، وهنا محامون يسخرون كفاياتهم فى هدم العدالة بدل أقامة صرحها . وهنا تجار مجوهرات يستبدلون الذهب بالنحاس ويزيفون الماس بالزجاج .

هذه ليست صورة تجتذب الأنظار ولكنها صورة حقيقية لعالم قامت فيه تربية يعوزها العنصر الخلقى . هذه الحقيقة الواقعة تدفعنا إلى القول باننا اذا خيرنا بين الجهل والتربية المشادة على غير مكارم الاخلاق ، لآثرنا الجهل بغير تردد

سيداتى وسادتى

حسبنا هذه العناصر الخمسة التى بيّنّا ، فانها فى مجموعها تشير الى ذلك النجم الذى يستضىء هذا المعهد بضوئه ، فى وضع خططه، وإثارة روح النشاط فيه، سواء أكان ذلك فى كلية الاداب والعلوم، أم فى قسم التربية. أم فى قسم الخدمة العامة . وإننا لنعتقد أن تربية كهذه لمن ألزم الضروريات لحياة الناشئة ، أفراداً وجماعات ، فى مصر .